المحاضرة السادسة الزمن والمكان في المسرح

مجال خاضت فيه شتى العلوم، كونه وبشكل مباشر مرتبط بوجود الإنسان ووعيه، لقد اهتم الفلاسفة في العصور السالفة بوضع الزمن في الأدب والفن، وقد ميز أرسطو (384-322 ق.م) المسرح عن غيره من الفنون والأجناس الأدبية من خلال الزمن، وأعتبر المسرح فن الحاضر يقدم أفعال أشخاص يعملون على أنها تجري الآن، في حين تروي الفنون السردية ومنها الملاحم ما حصل بصبغة الماضي. كما أن محاولة تحديد ماهية الزمن في المسرح تخلق التباسا كبيرا، لأنه مرتبط بعناصر عديدة ومتنوعة، منها تحديد أبعاد الزمن في العمل، زمن امتداد العرض المسرحي وزمن امتداد الفعل الدرامي، الزمن أو "الفترة التاريخية التي ترجع فيها الحكاية..الخ"[i].

وتكلم أرسطو عن وحدة الزمان في العمل المسرحي، وقال بشأنها :" التراجيديا تحاول جاهدة أن تكون تحت دورة شمسية واحدة، وأن لا تتجاوز ذلك إلا قليلا" [ii]، كما اختلف النقاد [*] حول هذا الموضوع، فمنهم من يرى أن أحداث المسرحية تقع خلال أربع وعشرين ساعة، ومن من يرى غير ذلك، لكن تبقى دوافع أرسطو في تحديد وحدة الزمان هي نظرته للمتلقي إذ يحاول أن يعطي صفة الإقناع لأحداثه المسرحية بصورة منطقية توافق تفكير المتلقين، ويرى الناقد الإيطالي كاستيلفرو CASTELIFROU أنه لا يجب أن يتعدى زمن الأحداث الزمن الذي يقضيه المتلقي في قاعة العرض[iii].

تتوفر كل مسرحية في أي شكل أو مذهب أو مدرسة- على عنصري الزمان والمكان، "وهما كيان متكامل لا يمكن فصل الواحد عن الآخر، أو الحديث عن أحدهما بمعزل عن الأخر" [iv]، لأنهما مقترنان

بالفعل في المسرحية، مترابطان مكملان لبعضهما، فوقوع الفعل في مكان ما يوجب اقترانه بزمن معين والعكس صحيح.

أما وحدة المكان فلم يذكرها أرسطو في كتابه بل أوجدها الكلاسيكيون الجدد، ونسبوها إلى أرسطو، إذ يرون أن الجمهور الذي يرتاد المسرح يعرف تماما أنه ذاهب إلى مكان واحد، وهو قاعة المسرح، لذا لا يجب أن يتغير هذا المكان على طول خط المسرحية، أي أن يستمر الحدث من بدايته وحتى نهايته في نفس المكان[v].

والمكان المقصود هنا هو مكان الفعل، والزمان ليس زمن العرض وإنما زمن وقوع الفعل في المسرحية، كما يجب مراعاة الكاتب لوحدة الزمان والمكان في المسرحية، ووحدة الزمان التي حددها أرسطو بدورة شمسية واحدة[vi]، كما أن معظم عروض الإغريق كانت تقع أحداثها في مكان واحد، وهذا ما استخلصه الكلاسيكيون الجدد ونادوا بوحدة المكان ونسبوها لأرسطو[vii].

أعطى جل كتاب المسرح في الجزائر تنوعا كبيرا في العنصري الزمان والمكان، كونهم انتهجوا المدرسة الملحمية والتي تنادي بهذا التنوع في وصف الأحداث والانتقال بالزمن من الماضي والعبور به إلى الحاضر والمستقبل والعودة إلى الزمن البعيد وإسقاط الأحداث، كما عنيت المدرسة الملحمية-أيضا- بتنوع الأمكنة وتصوير الأفعال التي تجري خارج الخشبة.

---

i- ماري إلياس وحنان قصاب، المعجم المسرحي، م س،. ص238.

ii- أرسطو، فن الشعر، تر: شكري عياد، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1967، ص 58.

* أمثال شكري عبد الوهاب، ماري إلياس، حنان قصاب، إبراهيم حمادة....

iii- ينظر، شكري عبد الوهاب، النص المسرحي، م س، ص 20.

iv- بوشيبة عبد القادر، مسرح علولة مصادرة وجمالياته، م س، ص329.

v- ينظر، شكري عبد الوهاب، النص المسرحي، م س، ص 21.

vi- ينظر، م ن، ص20.

[vii] - م ن، ص20.